



أبو بكر الصديق

تأليف الأستاذ علي الطنطاوي

نشرته المكتبة العربية بدمشق في ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط

الأستاذ علي الطنطاوي ، أو الشيخ علي الطنطاوي كما يجب أن يُدعى ، ثمرة ناشجة من نمار الثقافة العربية الحديثة : ثقف علوم الدين وعلوم اللسان ثقافة محيطة ، ثم درس القانون دراسة قعمية عميقة ، وشارك في إيقاظ النهضة الفكرية والدينية والاجتماعية في سورية مشاركة منتجة ؛ فله في قيادة الشباب عمل ، وفي توجيه الآداب طريقة ، وفي سياسة الإصلاح مذهب ؛ وهو ونفر من صحابته يمثلون في سورية الناهضة الحلقة الواصلة بين عقلية تنكر القديم ، وعقلية تنكر التجدد . وليس الأستاذ الطنطاوي مجهولاً لدى قراء الرسالة ، فهو يطالعهم الحين بعد الحين بالفصول الممتعة في الأدب والتاريخ والقصص ، ينقلها عن فكر خصب ، وإطلاع واسع ، ومنطق سليم ، وإيمان صادق ، وعاطفة نبيلة .

رغب إليه أصحاب المكتبة العربية بدمشق أن يكتب تاريخ الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فتوفر على قراءة مائة كتاب في موضوعه بين مطبوع ومخطوط أثبت أسماءها في تبيّن المصادر ، ثم جمع منها أخبار هذا البطل العربي ، وعارض بعض هذه الأخبار ببعض ، ثم جمع ما صح عنده من الروايات الكثيرة وجماها كالحديث الواحد منها إلى مصدر كل رواية ودرجة كل حديث . وتلك هي الطريقة السلفية التي تعتمد على الحشد والرواية ، أكثر مما تعتمد على التحليل والرأي ، فهي تعطيك أسباباً من غير حكم ، ومادة من غير صورة ، وقد ركب الأستاذ هذه الطريقة الوعرة على قصد وعلم ، فهو يقول :

« وكان عليّ أن أسلك في هذا الكتاب سبيل الدراسة التحليلية

فأصنف الحياة العقلية والاجتماعية والسياسية للعصر الذي عاش فيه أبو بكر رضي الله عنه والبيئة التي نشأ فيها ، وما كان لذلك من الأثر فيه ، وأدرس أخلاقه وسجاياه ، وأبحث العوامل التي عملت في تكوينها ، وأبين أثر الإسلام فيها ، وأثرها في التاريخ الإسلامي ، وما إلى ذلك من عناصر الدراسة التحليلية . ولكن « المكتبة العربية » ترى أن هذا الأسلوب لا يمثل إلا رأي صاحبه ، وأن الرأي قد يخطئ الحقيقة وقد يصيبها ، وهي لا تحب أن تخرج للناس (درساً) فيه الخطأ وفيه الصواب ، بل تاريخاً صحيح السند مضبوط الرواية

« وقد كرهت بادي الرأي هذا الأسلوب . . . فكيف أجوز أصعب الشقتين ، فأجمع المواد وأخصها وأنقحها وأسبها وأؤلف بينها ، ثم أئتمنها في الكتاب كما هي فيأتي « آخر . . . » فيأخذها هيئة لينه ، فينثني منها كتاباً تحليلياً تكون فائضه انتقاصي وذمّي بأنني لم أنثني منها كتاباً تحليلياً . . .

« ثم بدا لي فقلت لا بأس ، فانه مهما يكن للأسلوب التحليلي من المزايا ، ومهما يكن للأسلوب العربي من الميوب (عند بعضهم) فان الصحة ليست في غير الأسلوب العربي ، وليس لأمة من الأمم ما للأمة العربية من الضبط في الرواية والتحقيق فيها والتثبت منها ؛ ولا يدري أكثر من نعرف من الشبان من أمر هذه الرواية شيئاً ، بل انهم ليجعلونها مرة واحدة ، وينبذونها حماقة وجهالاً (بالكتب الصفراء) لما وضعوا في نفوسهم من أن الخير لا يكون خيراً لذاته ، ولكن للطابع العربي الذي يشترط أن يكون عليه . . . وأن الشر لا يكون شراً لذاته ، ولكن للسمّة الشرقية التي يتسم بها . . . وذكرت أن اتباع الأسلوب العربي — على ما سينالنا من لوم على اتباعه — خير لشبابنا (وهم جمهرة القراء) وأجدي عليهم ، وانه في طرق كثير من الشبان أن يكتبوا التاريخ التحليلي لأبي بكر إذا وجدوا الصحيح من أخباره مجموعاً في كتاب

وانك لتلتصم الدليل على ما أقول في هذا الديوان المسمى بالشاطي المجهول ، فاني على الرغم من عشوري فيه على بعض قطع أمهجتني قراءتها ، قد عجزت تماماً عن استجلاء ما يزيد الشاعر بما جاء في قسمه الأول الذي من أجله ساء بهذا الاسم

بيد أني أحب أن أبدأ الكلام عن هذا الديوان من الناحية الشكلية ، فقد استوقفتني فيه ظاهرة أمضتني بقدر ما تولا في منها الدهش ، ذلك أن الشاعر « سيد قطب » قد مهد ديوانه بمقدمة نقدية بقلم الناقد « سيد قطب » ، وراح في هذه المقدمة يمدح نفسه ، ويطنب في هذا المدح في صورة يبروني لمجرد الاشارة اليها كثير من الخجل والحياء ! ففي الديوان نظريات علمية وفلسفية ، والشاعر ملم بها ، والشاعر متصل بالعوالم المجهولة ، تربط قواه الروحية بالوحدة الكونية الكبرى ، وللشاعر احساس متيقظ بالزمن ومروره ، وعلا الشغف بكشف المجهول والحديث عن السر حيزاً كبيراً من ديوانه ، والشاعر في هذا الديوان يقف موقف المصور في كثير من القصائد ، وفي الديوان ظاهرة تستحق التسجيل ، ذلك أن لونا من ألوان الموسيقى يتفشى فيه كله ، كذلك تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار الى ماسوى ذلك مما أستحي لتذكره من عبارات المدح والاطراء : وتالله لقد ترددت كثيراً أن أسدق أن الشاعر والناقد شخص واحد ، وأكتفي أن أقول له في احترام : إن مثل هذا إن جاز في شيء فهو لا يجوز في الأدب وعلى الأخص في الشعر وبعد فهل رأيت في الديوان ما يتفق مع هذه المقدمة ؟ الحق أني إذا أردت الانصاف مضطر إلى أن أخالفه في كثير مما قال بل في معظمه ! فالجزء الأول من ديوانه المسمى « خلل ورموز » عبارة عن سلسلة من الأفكار الفاضلة يشتملها جميعاً ذلك التعبير الذي شغف بتكراره الشاعر وهو « الوجود الكئيب » فتلك الكآبة تخيم على معظم قصائده وعلى الأخص « الشعاع الخابي » و « خراب » و « في الصحراء » حيث « يطل الليل كالشيخ الكئيب » و « في خريف الحياة » ، و « غريب » . وليتنا نخرج بشيء من هذه الكآبة أو نقتين فيها شيئاً من فلسفة الحياة جديراً حقاً بهذا الاسم ، ولست أدري لم اضطلع الشاعر هنا ببعض الموضوعات « كالانسان الأخير » و « الشاعر في وادي الموت » ،

واحد ، ولكنه يهجز الكثير منهم أن يجمعوا هذه الروايات ويفحصوها ويرتبوها . . . »^(١)

ولاريب أن الأستاذ قد بلغ أقصى ما أراد في الجهة التي اختارها أو اختارها له الناشر ، فقد استوعب كتابه كل ما اتصل بحياة الخليفة العظيم من الآيات والأحاديث والأخبار في سياق مطرد وترتيب محكم وأسلوب جذاب . ولكن من يقرأ تصدير الكتاب^(٢) ويقف على أسلوب الكاتب في حسن التمليل ، وصدق الوصف ، وبراعة العرض ، يتمنى لو أن الأستاذ كان قد وفق بين الطريقتين ، فيجمع بين الزينين ، ويسلم من نقد القارى المتعقب ، واستغلال الكاتب المجهود

الشاطي المجهول

نظم الشاعر سيد قطب

للأستاذ محمود الخفيف

في ذهني ، عن شعراء الشباب عندما فكرة عامة ، تزداد وضوحاً ، وأزداد بها تعلقاً كلما نشر أحدهم مجموعة شعره ، ولقد أتبع لي أن أقرأ عدداً من تلك المجموعات في الأيام الأخيرة ، فزادتني يقيناً بأن الشعر في مصر يسير الآن لي غير قصد ، أو بعبارة أخرى لم تنشأ بعد عندنا في الشعر « مدرسة » لها لونها ، ولها غايتها ، ولها سبلها المختلفة التي تنتهي بها الى تلك الغاية . وعلة ذلك أن شعراءنا إلا أقلهم مقلدون ، وقل أن تلمح لأحدهم أصالة أو تبتين له وجهة ، وكأني بالشباب منهم يتناول القلم والورق ، ويجلس لينظم ، لا لأن قلبه يخفق بمعنى يريد أن يفصح عنه ، بل لأن شهوة النشر تملك زمامه ، والرغبة في المحاكاة تصرفه في ذلك عن الصواب ، ففي نفسه بقية مما قرأ ولم يحسن فهمه من المسائل ، فهو يتطلع الى التجديد والنموض والرمز والبحث عن المجهول والتشاؤم ، وما سوى ذلك من معان يرددها دون أن يدري كنهها أو القصور منها ، وليت شعري ، كيف نسعى انتاجاً كهذا شعراً ؟ وهل كان الشعر إلا الاحساس القوي ثم الانفصاح عنه في صورة تلامم الفن وترضى الذوق ؟

(١) مقدمة الكتاب (٢) نشرناه (بالرسالة) في عدد سابق

والاستمارة ، وإلا فكيف يتفق مع الذوق مثل قوله « يدوى حوله صمت الفناء » والسكون « مفقود القطيع » و « الهول الواجم » و « الرعب الحائم » و « الفناء الجائم » و « ركام الفناء » و « شخصوس الوهم » و « الحياء الوديع » و « الخشوع الوقور » و « الميمل المسجور » و « الصرخة المتلوية » و « الصمت في ظل الوجوم » و « وقف الكون شاخصاً في سكون » و « الدهول الشريد » و « القنوط العقيم » و « الدلال الشroud » و « الرشاد الرزين » و « الفتور الشغوف » وغير ذلك من الصور الذهنية القريبة وهي مع الأسف كثيرة في الديوان

هذا إلى أنه قليل العناية بانتقاء اللفظ وتجويد القوافي ، وأنا على يقين بأن حين أصارحه بهذا أحسن إليه ؛ فواجبنا جميعاً أن نتصافر على رفع مستوى الشعر بمد أن نجدده وتبين وجهته ، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا إذا توخينا الصراحة والصدق والاختلاص في كل ما نقول

الطيب

وهو لم يخرج منها بطائل ، بله العجز عن التصور والتعبير في مثل هذه المواقف القريبة :

أما بقية ديوانه فيشتمل على بعض قصائد ريفية ، وقصائد غزلية ، وقصائد وطنية ، هي في الجملة جيدة ، تحس أنها صادرة حقاً عن القلب ، فليس فيها من التكلف والتعمل والتقليد مثل ما في سابقها ؛ ولقد أعجبتني بنوع خاص قصائده « نوارد خواطر » و « سر انتصار الحياة » و « المعجزة » و « الليلات البعوتة » وطربت لها كثيراً . ولو نظر الشاعر أو الناقد سيد قطب من نظرة حق لفهم السر في نجاحه في تلك القصائد التي يستحق من أجلها أطيب الثناء ، ولولا هتات في بعض تعبيراته لعدت هذه من عيون الشعر

والشاعر في قصائده الحديثة أقوى على التعبير وأسلم عبارة منه في قصائده القديمة ، ولقد لاحظت عليه أنه بكلمة شمراء الشباب مزغم ببعض الصور القريبة ، لا يتحرج في كثير من تعبيراته ، ولا يتوخى فيها البلاغة والسير على مألوف التشبيه

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للخافض نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧

تحرير الخافضين الجليلين : العراقي وأبو حجر

جمع فيه الزيادات على كتب السنن الستة من أعظم المعاجم والمسانيد : المعاجم الثلاثة للطبراني ، ومسانيد الامام أحمد وأبي يعلى الموصلي والبخاري وغيرها ، وتكلم على الأحاديث ورواها . فهو مع الكتب الستة كدائرة معارف للسنن النبوية ، وهو في عشرة أجزاء ، ثمنه جنيه وربع (يطلب من مكتبة القدسي ساب الخلق : حارة الجداوى)

الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة

مؤلفات ابن قتيبة تمل الأسلوب البليغ أولاً ، والتحقيق الملمى ثانياً (ثمنه ٤ قروش صاغ وطلب من المكتبة المذكورة)

